كيف وصلت روايات الكاتب الياباني كاواباتا ياسوناري إلى مرحلة من الكمال

أعمال أديب نوبل حققت التناغم بين الأدب والفن التقليدي

كاتب مهووس بالفن

فاز الكاتب الياباني كاواباتا ياسوناري بجائزة نوبل في الأدب لعام 1968 عن أعماله المكتوبة بإتقان روائي وإحساس مدهش. وفي هذه المقالة تستعرض الأكاديمية تانيغوتشي ساتشيو الروابط بين الفن والعالم الأدبي لكاواباتا الذي يعتبر واحدا من أهم الأدباء اليابانيين الذين نالوا شهرة عالمية لم تتراجع إلى اليوم.

تانيغوتشي ساتشيو

ما الذي يثير فكرة عمل أدبي؟ كيف يتحول هذا من خلال العملية الإبداعية إلى النص نفسه؟ في حين أنه قد يكون هناك العديد من الإجابات المختلفة على مثل هذه الأسئلة، يأتي الإلهام في بعض الحالات من لقاء مع إحدى اللوحات الفنية.

عندما سافر الكاتب الياباني كاواباتا ياسوناري إلى كانازاوا في نوفمبر من عام 1947 لإزاحة الستار عن نصب تذكاري للكاتب توكودا شوسي، شاهد أيضا لوحة قابلة للطي من ستة أجزاء. كان كاواباتا أيضا جامعا للتحف الفنية، فقد اقتنى الكنزين القوميين "الثلج المغربل عبر سحب مجمدة" لأوراغامي غيوكودو و"10 مزايا و10 متع" لإيكي نو تايغا ويوسا بوسون. حُدد كلا العملين الفنيين – حاليا ضمن مقتنيات مؤسسة كاواباتا ياسوناري – ككنز قومي بعد أن اشتراهما، ما يشير إلى حدة نظر عينيه تجاه الجمالية الفنية. ولكن تقدير الفنون لم يكن مجرد هواية لكاواباتا، فاللوحة التي شاهدها في كانازاوا حفزت إبداعه.

الكمال الأدبي

عندما نظر كاواباتا إلى اللوحة القابلة للطي كان يقترب من مرحلة جديدة في تطوره الأدبي تميزت بدايتها بإكمال روايته "بلد الثلج"، التي فازت لاحقا باعتراف دولي باعتبارها تحفة فنية.

ولد كاواباتا في إيباراكي بمحافظة أوساكا عام 1899، وصنع لنفسه اسما كمؤلف جديد مع القصة القصيرة لعام 1926 "الفتاة الراقصة من إيزو"، والتي تدور أحداثها حول تعرف طالب على فرقة مسرحية. وأثبت نفسه أيضا في عمل تقرير بين 1929 و1930 بعنوان "عصابة أساكوسا الحمراء" وتقرير بعنوان "تخيلات كريستالية" عام 1931 والذي وظف فيه أحدث طريقة لتيار الوعي، وقصة "الطيور والوحوش" لعام 1933 عن رجل كاره للبشر لا يمكنه إلا أن يحب الطيور والحيوانات الصغيرة. وبعد ذلك بدأ في كتابة "بلد الثلج".

يسافر شيمامورا بطل رواية "بلد الثلج" من طوكيو بالقطار الذي يخرج من نفق ليصل إلى بلدة ينابيع مياه حارة في "بلد الثلج" عنوان الرواية. ينجذب هناك إلى تضحية فتاة غيشا صادقة اسمها كوماكو، بينما يبقي نفسه على مسافة منها. يصور كاواباتا ببراعة علاقتهما غير المثمرة من خلال تقنيات تعبيرية مثل ارتباط الصور والتلميحات المجازية والسرد الحر الذي لا يتركز على وجهة نظر معينة.

أشار إيتاساكا غين، المحاضر في الأدب والثقافة اليابانية في جامعة هارفارد لسنوات طويلة، إلى الطريقة المبتكرة التي استخدم بها كاواباتا طريقة سينمائية للتعبير بشكل غير مباشر عن كل من الأجواء المليئة بالحيوية والمسافة التي تفصل بين الاثنين من خلال تعمد الوصف عن قرب لشفاه ورموش كوماكو. كاواباتا بارع في استخدامه للتقنيات الأدبية لخلق عالم من الجمال والإثارة، ويمكن القول هنا إنه أوصل أعماله الأدبية إلى مرحلة من الكمال.

جُمعت رواية "بلد الثلج" بطريقة غير عادية، حيث ظهرت في الأصل كأجزاء قصيرة منفصلة في مجلات مختلفة من عام 1935. وحتى بعد نشرها باسم "بلد الثلج" على شكل كتاب في عام 1937، استمر كاواباتا في كتابة القصة وتحرير ما كتبه حتى ذلك الوقت.

> كاواباتا برع في استخدام التقنيات الأدبية والسينمائية والتشكيلية لخلق عالم من الجمال والإثارة في رواياته وقصصه

بعد نشر تتمة للقصة في مجلة "شوسيتسو شينتشو" في عام 1947، تم نشر نسخة منقحة من كامل الرواية وصفت بأنها "النسخة النهائية" في عام 1948. ولكن كاواباتا أجرى تغييرات أخرى عندما تم تضمينها في أعماله المجمعة. بعد إقدامه على الانتحار في عام 1972، عُثر على مخطوطة مكتوبة بخط اليد لنسخة مركزة ومختصرة من القصة. لقد كانت بالفعل عملا صبّ فيه كاواباتا من قلبه وروحه حتى وفاته.

وفي حين أن تأليف "بلد الثلج" كان عملية معقدة، فقد قاد الجزء الذي نشر في المجلة عام 1947 إلى نهاية مؤقتة للعمل، ويمكن للمرء أن يتخيل أن كاواباتا قد وصل إلى محطة رئيسية في رحلته الأدبية. ومع الإصدار النهائي لـ"بلد الثلج" في العام التالي، كان الوقت قد حان لإجراء التحضيرات لطرح أعماله المجمعة. على هذا النحو، جاءت مواجهته مع اللوحة القابلة للطي في كانازاوا عندما كان يجمع أجزاء عمله التي تعود إلى فترة ما قبل الحرب ويبحث عن وجهة جديدة.

إلهام الخريف

أي نوع من اللوحات كانت؟ كتب كاواباتا في رسالة وجهها إلى الكاتب شيغا ناويا عن مشاهدة "لوحة الأقحوان" للفنان الياباني أوغاتا كورين في متجر للتحف الفنية القديمة في كانازاوا. اللوحة مكونة من ستة أجزاء وهي إحدى لوحتين متناظرتين، ورسمت أزهار الأقحوان فيها باستخدام "غوفون" (صبغة بيضاء مصنوعة من صدف مهشم) على خلفية ذهبية.

ثم بدأ كاواباتا تأليف عمل شهير آخر له هو "صوت الجبل". وعلى غرار "بلد الثلج" نشر العمل في البداية على شكل أجزاء متفرقة في مجلات من عام 1949 إلى سنة 1954 قبل أن يتم ترتيبها في عمل واحد.

على خلفية مجتمع مدمر بعد الحرب، تتمحور رواية "صوت الجبل" حول رجل أعمال ستيني هو أوغاتا شينغو، ويعالج العمل قضايا الشيخوخة والأسرة.

يأتي العنوان من الصوت الذي يسمعه من الجبل خلف منزل أوغاتا في كاماكورا بمحافظة كاناغاوا، والذي يخشى أن يكون علامة على الموت الوشيك. بالإضافة إلى المخاوف بشأن صحته، فإن علاقات أبنائه المتدهورة مع أزواجهم هي سبب آخر لحزن قلبه. وفي حين أنه يمر بأيام قاتمة، يرى شينغو في كيكوكو زوجة ابنه، صورة أخت زوجته التي كان يتوق إليها عندما كان في ريعان شبابه. وبينما ترتبط شقيقة زوجته المتوفاة بأوراق الخريف التي أخذت للتو لونها، تستدعي كيكوكو في الأذهان صورة الأقحوان (كيكو) التي هي جزء من اسمها. ويزداد جمال كلتيهما في فصل الخريف.

عندما كان كاواباتا يكتب عن الامرأتين اللتين كان شينغو يتوق لهما في رواية "صورة الجبل"، ربما أوحت اللوحة القابلة للطي له فيما يبدو بفكرة كيكوكو، بينما طور شخصية أخت زوجته بأخذ مزيج تقليدي من الأقحوان وأوراق القيقب في عين الاعتبار. لقد تأثرت بمجرد التفكير بوجود رمز في العمل يُظهر أن اسم أوغاتا كيكوكو مشتق من لوحة الأقحوان للفنان أوغاتا كورين. وهكذا فقد ألهم الفن التقليدي المرحلة التالية من رحلة كاواباتا الأدبية.

بعد اكتمال سلسلة أجزاء "صوت الجبل" في عام 1957، عمد كاواباتا إلى زيارة دير وستمنستر في لندن. وكتب في عمله "10 قصص عن كبرياء الذات" لعام 1962 أنه أثناء الاستماع إلى الجوقة تغني في الدير، تذكر فجأة أعمال أوغاتا كينزان شقيق أوغاتا كورين. ومن الممكن تمييز اهتمامه بمدرسة الرسم "رينبا" من تاوارايا سوتاتسو وهونامي كوئتسو إلى أوغاتا كورين وكينزان. إن استحضار جمال اليابان في لوحات رسمها كينزان أثناء وجوده في أرض أجنبية جعله يشعر بالحنين إلى الوطن.

الأعمال المذكورة بالتحديد هي "طيور وزهور الأشهر الاثني عشر" لفوجيوارا نو تيئكا استنادا إلى شعر واكا لتيئكا، و"ثمانية جسور" من مشهد من "حكايات إيسي"، و"سلال زهور" التي تصور سلال زهور في الخريف، وشعر واكا للأديب النبيل الذي عاش في العصور الوسطى سانجونيشي سانيتاكا، و"طيور وأزهار الفصول الأربعة" وهي زوج من اللوحات القابلة للطي مرسوم عليهما طيور أبوقردان ونباتات موسمية. ومن المعروف أن العمل الأخير كان ضمن مجموعة كاواباتا، وتصور اللوحة اليسرى أوراق القيقب الخريفية والأقحوان الأبيض اللذين يتوافقان مع الامرأتين في رواية "صوت الجبل". ولقد أسهمت سيمفونية أعمال مدرسة رينبا في إبداع الرواية.

ويتطرق كاواباتا في "10 قصص عن كبرياء الذات" إلى نظرية المؤرخ الفني كوباياشي تايتشيرو بأن شخصيات من "حكاية غينجي" ممثلة في الزهور والطيور في "سلال زهور" و"طيور وأزهار الفصول الأربعة". ويُظهر هذا اهتمامه غير العادي بالتناغم بين الفن والأدب الذي يمكن العثور عليه في طبقات أعمق من أعماله.

ومن بين أعمال كاواباتا اللاحقة رواية "البحيرة" لعام 1954 التي تروي قصة مطارد عنيد في منتصف العمر، ورواية "بيت الجمال النائم" لعامي 1960 و1961 التي تدور أحداثها في مؤسسة ينام فيها كبار السن بجانب شابات جميلات تناولن أدوية منومة. واجتاحت مثل هذه الأعمال أعماق النشاط الجنسي البشري ووسعت عالم كاواباتا الأدبي. وفي عام 1968 تم تكريمه كأول فائز ياباني بجائزة نوبل في الأدب.

السعودية تطلق جائزة غازي القصيبي في ثلاثة مسارات

الرياض – دشن كرسي غازي القصيبي للدراسات التنموية والثقافية جائزة غازي القصيبي في دورتها الأولى في فروعها التي تضمنت ثلاثة مسارات داعمة لعجلة التنمية والتطوير في المملكة، خُصص أولها للسيرة الذاتية للأفراد ضمن فرع الأدب، فيما خُصص مسار إدارة الأزمات للجهات الحكومية والخاصة وغير الربحية ضمن فرع الإدارة والتنمية، ومسار ثالث للمبادرات والأعمال التطوعية المنفذة للجهات الحكومية والخاصة وغير الربحية في فرع التطوع.

وبدأت الأمانة العامة للجائزة في استقبال المشاركات والترشيحات في الفروع المحددة عبر المنصة الإلكترونية الخاصة بالجائزة، وتستمر في تلقي الترشيحات حتى يوم الثاني والعشرين من يناير من عام 2022، وستبلغ القيمة المالية مئة ألف ريال لكل فرع من فروع الجائزة.

وأكد رئيس الهيئة الإشرافية للجائزة الدكتور عبدالواحد الحميد أن الجائزة تعبر عن التقدير والعرفان لهذه الشخصية الوطنية، التي أسهمت بعطاءات وطنية راسخة وشاهدة حتى يومنا هذا، حيث جاءت المجالات المحددة في الجائزة معبرة عن اهتماماته، وتستهدف الجائزة رفع مستوى الحراك العلمي والفكري في السعودية.

وأشار الحميد إلى أن كرسي غازي القصيبي للدراسات التنموية والثقافية المشرف على الجائزة يمثل ركيزة فاعلة نحو دعم البحث العلمي والباحثين وتشجيع الإبداع والمبدعين من أبناء الوطن وبناته، وتكوين مناخ إبداعي يتفرد بمحتواه الثقافي والأدبي والتنموي، وخير شاهد على ذلك ما قدمه من أعمال نوعية في إنتاج الكتب والأبحاث والندوات والمحاضرات والمسرحيات منذ تأسيسه.

من جانبه اعتبر رئيس مجلس أمناء جامعة اليمامة، عضو الهيئة الإشرافية للجائزة خالد بن محمد الخضير، أن الجائزة اعتراف بشخصية أبدعت في خدمة وطنها في الثقافة والفكر والأدب والتنمية، وكانت لها إسهامات نحو دفع عجلة التنمية، ومثالاً يحتذى به في الأعمال التطوعية والخيرية، مشيراً إلى أن الجائزة ستعمل على تحفيز الأجيال القادمة لتقديم المنتج الإبداعي والتنموي والإداري وإبراز أفضل الممارسات في المجالات الإدارية والتنموية.

فيما أفاد الأمين العام للجائزة الدكتور عمر السيف أن فكرة الجائزة تبلورت مقاصدها الأصيلة في أن تكون محفزة للأفراد والجهات في المملكة نحو التميّز لترسيخ معايير التميّز حتى يسترشد بها المتميزون في طريقهم نحو خدمة وطنهم.

وتُمنح الجائزة مرة واحدة كل سنتين للمبدعين في مجالات الأدب والإدارة والتنمية والتطوع. وتتركز على محور تكريم المتميزين من الأفراد والمنظمات ممن أبدعوا في مجالات الثقافة وأسهموا في التنمية وفي خدمة المجتمع وذلك تقديرًا لأعمالهم وإنجازاتهم، وتحفيزًا وتشجيعًا لغيرهم على طريق الإبداع والعطاء بمختلف صوره وأشكاله، وحصول الفائزين على مكافأة مالية قدرها مئة ألف ريال لكل فرع من الفروع.

واشتملت فقرات حفل تقديم الجائزة على عرض مرئي جسّد سيرة الدكتور غازي القصيبي وأدواره الوطنية والإنسانية والأدبية، إضافة إلى معرض فني تضمّن عشرين لوحة عن تجربة القصيبي الإبداعية والإنسانية ومؤلفاته التي تجاوزت ستين مؤلّفًا.

والقصيبي الشاعر والأديب والوزير والسفير السعودي كان من أوائل المواجهين للصحوة الدينية، وتميزت أعماله بالصرامة الفكرية التي أحرز فيها موقعا عربيا وسعوديا متقدما برزت في مجادلاته لرموز مرحلة الصحوة التي وقفت بالمرصاد لكل فكر وطني تقدمي.

> الجائزة تهدف إلى رفع مستوى الحراك العلمي والفكري في السعودية وتُمنح مرة واحدة كل سنتين

ويتمتع الإنتاج الأدبي للقصيبي بالعمق والسلاسة، وفي الوقت نفسه يشتهر بترويجه لقيم ومُثل إنسانية مؤثرة مثل التسامح والنبل والعطاء، إلى جانب العاطفة الجياشة.

وأصدر القصيبي أكثر من 20 ديوانا شعريا بين عامي 1960 و2008، كان أولها بعنوان "أشعار من جزائر اللؤلؤ" (1960) وأتبعه في عام 1965 بـ"قطرات من ظمأ"، لتتوالى بعدها المجموعات مثل "أنت الرياض" و"الحمى" و"ورود على ضفائر سناء" و"حديقة الغروب"، وصولا إلى "البراعم" (2008)، آخر الدواوين الصادرة في حياته.

ومن المعروف أن للقصيبي العديد من الروايات منها "شقة الحرية" و"دنسكو" و"أبوشلاخ البرمائي" و"الجنية"، وصولا إلى "الزهايمر" التي نُشرت بعد وفاته، إضافة إلى كتاباته الصحافية وترجماته؛ لتصل مؤلفاته إلى أكثر من 60 مؤلفا، عدا المناصب والوزارات التي تولاها في بلده السعودية، والأوسمة والتكريمات التي نالها فيها أو خارجها.

والاحتفاء بالقصيبي من خلال تخصيص جائزة باسمه هو احتفاء برمز تنويري وقف بمفرده في زمن سابق ضد كل الأفكار المنغلقة ورسخ مشروعا أدبيا وفكريا مستقبليا رهانه فيه الإنسان العربي في محاولة لكسر أطواق الرجعية والذهاب أبعد إلى المستقبل.

مثقف كان رهانه التنوير